

إن تعبير "الرجاء المسكوني للكنيسة" يُطلق على الرجاء الذي تبرزه الكنيسة من خلال تقديمها لتعليمها الرسمي ، بخصوص مستقبل الوحدة الدينية للإيمان في العالم .

إننا عندما نذكر " الوحدة الدينية للإيمان " لا يجب أن يفهم أن المقصود بذلك هو الوحدة الموجودة فعلاً في الكنيسة بحسب مشيئة مؤسسها نفسه ، حيث أننا لا نستطيع أن نتحدث عن رجاء بخصوص واقع موجود بالفعل ، ويظل أيضاً موجوداً بحسب وعد المسيح : " أبواب الجحيم لن تقوى عليها " (متى ١٦ / ١٨) . لكن المقصود بذلك الرجاء هو مفهوم وحدة الكنيسة : بمعنى أن الكنيسة هي واحدة .

إن ما يهمنا بالأكثر هنا هو الرجاء المتعلق بمفهوم كاثوليكية الكنيسة . إن الكنيسة كاثوليكية بمعنى أنها جامعة ، ونحن نبحث في الرجاء الذي تمتلكه الكنيسة وتدل به على أن كاثوليكيته تستند إلى حقائق تاريخية محددة . ومفهوم الكاثوليكية هذا هو مفهوم يرتبط بالكنيسة في ذاتها ، وهي تمتلكه منذ نشأتها بحسب مشيئة مؤسسها ، غير أنه مفهوم يتطور فعلياً دون إنقطاع حيث أن كاثوليكيته هي في نمو متواصل .

فيما يتعلق بكلمة " مسكوني " ينبغي إيضاح ما يلي : أن كلمتي " مسكوني " و " المسكونية " مأخوذتان من الكلمة اليونانية " أوئكوميني " (oikoumène) ، التي تعني أصلاً " المسكونة " ويقصد بها الأرض كلها كمكان للسكنى ولعيشة البشر . إذاً معناها الدقيق هو " الأرض ، مكان البشر " ولذلك يمتد معناها ليشمل مجموع الناس الساكنين في الأرض وليشمل أيضاً مشتقاتها فتعني عندئذٍ كل ما له علاقة أو يشير إلى عموم البشر المقيمين على وجه الأرض . من الواضح إذاً أن " أوئكوميني " كانت تعني قديماً لمستخدميها حيزاً جغرافياً مداه أقل بكثير مما يعنيه لنا اليوم ؛ لكنها كفكرة تعني نفس الشيء أي جماعة البشر الساكنين في الأرض أيّاً كان امتدادها . بالتالي فالكلمة في اللاهوت المسيحي ( كما هو مقبول عامة ) تقبل معنيين : الأول إشارة إلى المسيحيين ( معتبرين " كجماعة " أناس مدعوين في المسيح ) ، والآخر إشارة إلى كل البشر ( " كجماعة " تشمل العالم بأسره ) .

### ١ - تعليم ما قبل المجمع الفاتيكاني الثاني .

إن تعليم السلطة الكنسية بخصوص موضوع الرجاء المسكوني ، إبتداء من عهد البابا ليون الثالث عشر (حين بدأ موضوع المسكونية يكتسب اهتماماً متزايداً لدى الكاثوليك ) وحتى عهد البابا يوحنا الثالث والعشرين والمجمع الفاتيكاني الثاني ( الذي استند بصفة خاصة إلى الحبريتين المذكورتين ) ، يمكن تلخيصه في النقاط التالية :

أ - إن الكنيسة تأمل وتسعى بصفة خاصة إلى تجديد داخلي عميق و ازدهار يهدف إلى إتمام عملها الخارجي بطريقة أشمل ، وذلك لكي تحقق التفويض الإلهي لأجل خلاص العالم . يتضح من ذلك أنه يوجد رجاء لتجديد داخلي وازدهار للكنيسة .

ب - تنتظر الكنيسة التحقيق المستقبلي المسكوني للإتحاد مع الكنائس المنشقة ، وخاصة مع الكنائس الشرقية - وهي تُسمَّى بحق " كنائس " . وهي تعتبر أن هذا الرجاء موحى به من الله ولديها ثقة في إتمامه . يتضح من ذلك وجود رجاء في تحقيق وحدة المسيحيين .

ج - تعلن الكنيسة جهاراً رجاءها في تحقيق اتحاد مستقبلي مسكوني يشمل كل العالم في الإيمان المسيحي ، متضمناً الشعوب الوثنية ، وتضع رجاءها هذا في يسوع إذا أنها تعتبر هذا الرجاء مؤسساً على الإعلان الإلهي .

د - إن سبب الرجاء المسكوني ، وأيضاً هدفه ، مستمدان من وعد يسوع في الإنجيل : " ستكون هناك رعية واحدة وراعٍ واحد " (يوحنا ١٠ / ١٦) .

## ٢ - تعليم المجمع الفاتيكاني الثاني .

يُعلن المجمع في القرار حول المسكونية : " المقصود بمصطلح ' الحركة المسكونية ' هو الأنشطة والمبادرات التي تُتخذ بهدف تحييد وحدة المسيحيين " (رقم ٤) . ويصرح أيضاً : " يشترك في حركة الوحدة هذه - المسماة بالمسكونية - كلُّ الذين يدعون بالإله الثالث ويعترفون بيسوع رباً ومخلصاً ، لا فقط كأفراد ولكن أيضاً عندما يلتقون في مجموعات حيث استمعوا للإنجيل ويُسمون تلك الجماعات كنيستهم وكنيسة الله " . لكن اغلبيتهم - وعلى الرغم من تنوع وسائلهم - يتطلعون إلى كنيسة الله الواحدة والمرئية والتي هي بالحقيقة جامعة ومرسلة للعالم حتى يتوب للإنجيل ويخلص ، وذلك لمجد الله " . (رقم ١) .

إذاً يظل مفهوم المسكونية واضحاً : حركة لكنائس مسيحية من مختلف الطوائف ، تُعتبر كل واحدة منها ( في ذاتها ) جماعةً وأيضاً كنيسةً ، تجاه اتحاد كنيسة واحدة وجامعة . ذلك هو المعنى الأكثر شيوعاً للمسكونية وهو بمثابة أول درجات المسكونية التي ذكرناها قبلاً . لكن هناك أسباباً مختلفة وهامة تُلزم التمييز بين إتحاد الكنائس الشرقية مع الكنيسة الكاثوليكية وبين الدرجة التالية وهي الإتحاد الأشمل مع كل الكنائس المنشقة او المنفصلة . وحيث أنه لا يمكن التطرق إلى التفاصيل لشرح كل نوع من الإتحاد ، فنكتفي بأن نستخلص النتائج التالية التي تصلح لكليهما :

أ - إن وثائق التعليم الرسمي للكنيسة تحتوي على رجاء لأجل تكوين شعب واحد من إخوة هم كل المسيحيين حيث يكونون خاضعين لنائب المسيح ، أي الحبر الروماني ، وبينهم شركة في الإيمان وفي التقوى .

ب - ذلك هو رجاء لدى الكنيسة ، أي لدى الحبر الأعظم في شركة مع الأساقفة ومع الشعب المسيحي .

ج - إن ذلك الرجاء صادر من الله ومن روحه ، ومنشأه الأساسي هو صلاة يسوع خلال العشاء الأخير : " ليكونوا واحداً " . وهو رجاء لا يخيب بأن تتحقق صلاة المسيح تماماً .

د - لتعجيل التوصل إلى الوحدة المرجوة ، على المسيحيين أن يقيموا صلوات - بل صلوات يومية - بما أن الصلاة لديها قدرة دفعٍ للتوصل إليها .

هـ - سيُمتلَّ التوصل إلى تلك الوحدة عزاءً كبيراً للكنيسة الكاثوليكية ، وسيمنحها دفعة إرسالية عظيمة .

و - إن السيدة العذراء مريم هي الشفيعة الأساسي لتحقيق هذه الوحدة .

في رسالته العامة " كنيسته " (Ecclesiam Suam) الصادرة في عام ١٩٦٣ ، وبينما كانت جلسات المجمع منعقدة ، أدخل البابا بولس السادس تعبير " الحوار " في تعريفه لرسالة الكنيسة الكاثوليكية و مهمتها التبشيرية ، مع إحتفاظها بذاتيَّتها الخاصة ، قائلاً: " ينبغي على الكنيسة أن تتعمق في وعيها الذاتي ،... وفي أصل نشأتها ، وطبيعتها ، إلخ ...." أما عن كيفية إجراء مختلف أنواع الحوار فقد وصفها " بالدوائر متحددة المركز". وإحدى تلك الدوائر هي الحوار مع المسيحيين غير الكاثوليك . يقول البابا : " إنهم يمثلون الدائرة الأقرب إلينا في العالم ، تلك التي تحتوى على الذين يحملون اسم المسيح . في اطار هذا المجال ، اكتسب الحوار صفة ' المسكونية ' ... وإننا نتبنى بسرور المبدأ التالي : لنُبْرز أولاً ما يوحدنا قبل التركيز على ما يفرقنا ... لا شيء أحب إلينا من أن نعانقهم في وحدة الإيمان ومحبة كاملة ... الآن وقد اتخذت الكنيسة الكاثوليكية مبادرة العودة إلى توحيد حظيرة المسيح الواحدة ، فإنها لن تتوقف عن مواصلة ذلك بكل صبر ... وعليه يظل حوارنا مفتوحاً دائماً على ضوء ما ذكرنا . ولكن قبل أن يمتد هذا الحوار في محادثات اخوية ، سينفتح بحديث مع الأب السماوي بفيضٍ من الصلاة والرجاء " .<sup>١</sup>

### ٣ - تعليم البابا يوحنا بولس الثاني .

إن تعليم البابا الحالي واسع جداً ، حتى لو اقتصرنا فقط على ما يخص مجال موضوع الرجاء المسكوني للكنيسة . وإنه لَمِن اللافت للنظر ملاحظة كيف أن البابا يُظهر وحدة بين تعليمه وتعليم المجمع الفاتيكاني الثاني ، وفوق ذلك هو يبين بوضوح الوحدة والترابط فيما بين القرارات والوثائق المجمعية .

لقد تحدث البابا ، منذ بداية حبريته في رسالته العامة " فادي البشرية " (Redemptor Hominis) ، عن الإنجازات في حقل المسكونية ، وأعرب في الوقت ذاته عن رجائه في أن يستمر العمل فيه قائلاً: " هل تقدمنا كثيراً في هذا الدرب ؟ يمكننا القول - دون محاولة إعطاء رد ملموس - بأننا قد توصلنا إلى تقدم حقيقي وهام . من المؤكد على الأقل أننا قد عملنا بمتابعة وأمانة وإقدام ، وأن ممثلي الكنائس والجماعات المسيحية الأخرى قد التزموا معنا ، ونحن لذلك ممتنون لهم من كل قلوبنا . من المؤكد أيضاً أنه على ضوء الواقع التاريخي الحالي للمسيحية وللعالم ، ولأجل إتمام الرسالة الجامعة للكنيسة المتعلقة بالمشاكل المسكونية ، لم يكن أماننا إلا أن نبحث بأمانة ومتابعة وتواضع وشجاعة عن سبل للتقرب والوحدة ، على خُطى البابا بولس السادس الذي قدم لنا شخصياً في ذلك قدوة . علينا إذاً أن نسعى إلى الوحدة دون يأس أمام الصعوبات التي قد تظهر أو تتراكم خلال تلك المسيرة ، ونحن بخلاف ذلك لن نكون أمناء لكلمة المسيح ولن ننتِم وصيته . وهل نبیح لأنفسنا مثل هذه المخاطرة ؟ " <sup>٢</sup>

<sup>١</sup> راجع : البابا بولس السادس ، " كنيسته " (Ecclesiam Suam) ، الثأرقم ٣٠ .

<sup>٢</sup> راجع : يوحنا بولس الثاني ، " فادي البشرية " (Redemptor Hominis) ، رقم ٦ .

هنا نلفت الإنتباه إلى نقطة محددة في الرسالة العامة " ليكونوا واحدًا " (Ut Unum Sint) الصادرة في ٢٥ مايو / أيار ١٩٩٥ ، التي في مقدمتها تذكر الواجب المسكوني ( أو الإلتزام المسكوني). في الرقم ٨ تؤكد الرسالة : " ما يصرح به 'القرار في الحركة المسكونية' تجب قراءته في إطار التعليم الشامل للمجمع . إن المجمع الفاتيكاني الثاني يعبر عن قصد الكنيسة الثابت بأن تأخذ على عاتقها واجب المسكونية لصالح وحدة المسيحيين وأن تدعو إليه بشدة واقتناع : يحث هذا المجمع المقدس كل المؤمنين الكاثوليك ، إذ يتفهمون علامات الأزمنة ، على أن يشتركوا بحماس في العمل المسكوني" .<sup>٣</sup>

عند ذكر المبادئ الكاثوليكية حول المسكونية يستقي "القرار في الحركة المسكونية" من تعليم الكنيسة الموجود في " الدستور العقائدي في الكنيسة" في الفصل الخاص بشعب الله<sup>٤</sup> ، وفي نفس الوقت يأخذ القرار في عين الإعتبار ما أتى في " البيان المجمع في الحركة الدينية" (Dignitatis Humanae)<sup>٥</sup> . فإن الكنيسة الكاثوليكية تتسلم برضاء خاص الواجب المسكوني كإلتزام للضمير المسيحي المستنير بالإيمان والذي تمليه المحبة . ويمكن هنا تطبيق كلمة القديس بولس لمسيحي روما الأوائل : " محبة الله قد أفيضت في قلوبنا بالروح القدس" وهكذا فبالنسبة لنا : " إن الرجاء لا يخيب" (روم ٥/٥) . ذلك هو رجاء وحدة المسيحيين الذي منبعه الإلهي هو وحدة الثالوث للآب والابن والروح القدس .

وعليه أكد البابا على وجود رجاء راسخ لن يخيب مُرجِعًا إياه إلى نص كتابي للقديس بولس في العهد الجديد ، وبه التزمت الكنيسة الكاثوليكية بطريقة أكثر ثباتاً بعد المجمع الفاتيكاني الثاني وتجد مصدرها وإلهامها وعلتها الفاعلة في وحدة الثالوث الأقدس .

<sup>٣</sup> راجع : المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني ، "قرار في الحركة المسكونية" (Unitatis Redintegratio) ، رقم ٤ .

<sup>٤</sup> راجع : المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني ، "دستور عقائدي في الكنيسة" (Lumen Gentium) ، رقم ١٤ .

<sup>٥</sup> راجع : المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني ، "بيان في الحرية الدينية" (Dignitatis Humanae) ، رقم ١ و ٢ .